شركة وطنية على زرع عشرة آلاف فدان من اراضي البور توتاً بلغ ثمن حريرها في السنة نحو مليونين من الجنيهات ولاخوف من هبوط ثمن الحرير كثيراً لان نسبتهُ الى ثمن القطن قلما تتغير

ولكن هذه الموارد ضيقة لا تروي غليلاً والمورد الكبير الذي يروي ويغني هو تعميم الري الصيفي واحياء الارض الموات حتى يصير القطن يزرع في مليوني فدان على الاقل بدلاً من مليون ونصف او اقل . والاعتناء بخدمة القطن وتسميده حتى يصير متوسط محصول الفدان خمسة قناطير او ستة لا ثلاثة او اربعة كما هو الآن فيصير محصول القطر ١٠ ملايين قنطار او ١٢ مليوناً تباع باكثر من ثلاثين مليون جنيه وهذا هو المورد الحقيقي الذي يجب ان يعوّل عليهِ لزيادة ثروة القطر المصري

(٢) لتقليل النفقات — لا نرى سبيلاً لتقليل نفقات المأكل والمشرب والملبس لأن اهالي القطر لا ينفقون حتى الآن الاّ على الحاجيات ما عدا فريقاً من اغنيائهم . ولكن يمكن الاقتصاد الكبير في عدد المواشي وعلفها باستخدام الآلات البخارية للحراثة والدراسة كما تستعمل الآن للري . وقد ثبت بالامتحان ان الحاريث البخارية والدراسات البخارية تقوم مقام الجانب الاكبر من المواشي فاذا استغني بها عن نصف المواشي فقط فمن ذلك اقتصاد لا يقل عن ثلاثة ملايين جنيه في السنة

هذه حقيقة حال البلاد من حيث دخلها وخرجها وهذا هو السبيل الذي نراهُ لاستمرار ترقيها واذا لم تسلكهُ لم تأمن العثار

بلاد النيام نيام

النيام نيام اسم قبائل من قبائل زنوج افريقية القاطنة مديرية بحر الغزال بين النيل والكنغو وهي من رعايا الحكومة السودانية وقد اوفدت الحكومة حملة اليها بطلب سلطانها فخانها وقتل بعض رجالها ولم يسلم منها الأكلٌ طويل العمر ثم عادت الحكومة فارسلت حملة لتأديبهِ ففازت بامنيتها . وحكاية ما جرى للحملة الاولى تحاكي في غرابتها وكثرة وقائعها حكايات السندباد البحري . وقد بعث بها الضابط بوردمن من رجال الحملة الى احدى المجلات الانكليزية قال

لما احتلت الحكومة الانكليزية المصرية فشودة (وقد غيّر اسمها الآن الى كودوك) رأت ان لا غنى لها عن امتلاك بلاد بحر الغزال وهي بلاد واسعة الاطراف تغمرها المستنقعات في

بعض جهاتها وتكسوها الآجام والغابات والحراج الكثيفة في الجهات الاخرى. فغارت بامنيتها بغير مشقة كثيرة وبقتال قليل وامتلكت تلك الجهة الآ بلاداً واسعة بين اعالي النيل والكنغو تسمّى بلاد النيام نيام وهم قبائل متعددة تميل الى الحروب وشن الغارات وتأكل لحم البشر

فدارت المراسلات بين الحكومة المصرية والسلطان بيبيو سلطان قبائل النيام فأعرب عن رغبته في ان تزور كشّافة من الجنود بلاده واعدّا ان ينزلها على الرحب والسعة ويكرم وفادتها. فأجابته الحكومة الى رغبته والّفت كشّافة بقيادة المرحوم ارمسترنغ بك. وكنت انا من رجالها ومعنا ٢٠ جندياً سودانيًّا و٣٢ حمالاً. فغادرنا واو مركز الحكومة في مديرية بحر الغزال في راس السنة (الماضية)

ولما بلغنا رمبك استبدلنا الحمالين بغيرهم واستأجرنا دليلاً يهدينا الى بلاد النيام نيام. ولم يحدث شيء يستحق الذكر حتى شهر فبراير حين جعل الحمالون يقلقوننا باتجاههم عن المسير خيفة انهم اذا دخلوا بلاد النيام نيام لم يرجعوا منها ففرّ معظمهم خلسة. فدعا قائد الحملة مشايخ القرى المجاورة اليه وامر كلاً منهم ان يأتيه بنفر من الحمالين يحملون الهدايا التي جئنا بها الى السلطان بيبيو. فلبّوا طلبهُ حتى اذا اجتمع عندنا عدد كافٍ منهم استأنفنا المسير في بلاد كثيرة الصيد

وفي ٢٢ فبراير نزلنا في بقعة عند نهر مريدي وما كدنا نفعل حتى جاءنا حمّال يقول ان على مقربة منّا سربًا من الفيلة فخرجت انا وارمسترنغ بك نطلبها لعلنا نصيب صيدًا منها. فسرنا نحو ربع ساعة واذا بنا نراها ترعى بين الانجم والاعشاب الطويلة فاسترقنا الخطى اليها وجعلنا ندنو منها متئدين الى اقرب ما يمكن قصد انتقاء فيل طويل النابين من بينها. فلما صرنا على نحو ٦٠ قدمًا منها دارت كلها نحونا ونفرت الى الجهة التي كنا مختبئين فيها وهي لا ترانا. فالظاهر انها تنسمت ريحنا فخافت واضطربت ومرّ بعضها قريبا حتى كان على قيد ذراع منّا

وفي اليوم التالي تحملنا وعبرنا النهر ونزلنا بقعة تبعد نحو ٦٠٠ ذراع عن ضفته فتمشيت حتى أبعدت عن المعسكر قليلاً واذا بي اسمع صوت طلقين ناريين من طرفه الاقصى فظننت لاول وهلة ان ارمسترنغ بك خرج لصيد الافيال ثانية فأسرعت الى المعسكر وتناولت بندقيتي املاً بان اقطع الطريق عليها واقتل احدها. ثم عدت فسمعت نحو عشر طلقات اخرى متتابعة. وكنا حينئذ على مسيرة يوم من حدود بلاد النيام نيام فقلت في نفسي وما يمنع ان يكون النيام نيام قد فاجأوا قائد الحملة وهو خارج لصيد فناديت الجنود وامرتهم ان يتقلدوا

يتبادقهم ويتبعوني وهبت الى حيث سمعت صوت اطلاق النار . وكأني ذهلت عنهم لما عراني من الحماسة وشدة الانفعال فسبقتهم حتى رأيت عن بعد جنديين كانا قد خرجا مع ارمسترنغ بك وهما يجدان السير نحوي فناديتهما قائلاً "ما الخبر"

فاجابا "الافيال"

قلت "اين هي"

فقالا "هنا يا افندي"

قلت "هل قتل" وانما استعملت ضمير المذكر لان قوانين الصيد لا تجيز قتل اناث الافيال .

قالا "نعم يا افندي"

قلت "أرياني اين هو"

ثم ركضنا وسط العشب الطويل والاشجار ونحن لا نبس ببنت شفة وكنت اؤمل ان ارى فيلاً ملقى على الارض . ولم يمضِ الاَّ القليل حتى بلغ الجنديان بقعة مكشوفة وقفا فيها فلما وصلت الى حيث وقفا رايت منظراً فظيعاً اصطكت لهُ ركبتاي وكاد الدم يجمد في عروقي — رايت جثة قائدي ملقاة على ظهرها ومضرجة بالدماء وهو ميت فكدت افقد صوابي . ثم جمعت رجالي وصنعنا شبه نعش من الاغصان وحملناهُ الى المعسكر

وشرعت في التحقيق فعلمت من احد الجنديين ما يأتي : لما رأى فقيدنا اني ذهبت الشي مع النهر خرج للصيد فلقي جماعة من الفيلة واطلق النار على فيل كبير منها فجرحهُ فولى الفيل هارباً هو وثلاثة افيال اخرى فجدَّ في اثرها حتى صار الى يسارها فتشممت ريحهُ فدار الفيل المجروح نحوهُ وهجم عليهِ فاطلق طلقين اصابا صدرهُ فهاج الفيل هياجاً شديداً وضربهُ بنابهِ في صدرهِ فخرقهُ ورفعهُ فوق رأسهِ ثم جلد بهِ الى الارض فكسر كل عظم من عظامهِ تقريباً . ووجدنا ساعتهُ سليمة ولكن بندقيتهُ كانت مثنية . واطلق الجنديان اللذان كانا معهُ عدة طلقات على الفيل ولكنهما لم يستطيعا ردهُ عنهُ

وفي المساء دفنت قائدي واطلقنا النار ثلاثاً على قبرهِ . وعلمت فيما بعد ان النيام نيام سمعوا صوت هذه الطلقات فعرفوا بوجودنا هناك منها

ثم عدت الى المعسكر وقلبي يكاد ينفطر على فقد قائد كان لي صديقاً صدوقاً وكان الرفيق الابيض الوحيد في تلك المجاهل النائية . وترددت حيناً بين استئناف السفر او العودة الى رمبك ولكني عقدت العزم اخيراً على الامر الاول وارسلت حمالين الى رمبك ينعيان

ارستونغ بك لقائد موقع رسيك وبقائهِ عزمي على اتمام المهمة التي وُكلت اليهِ

ولزمني الخمس من ذلك الحين الى آخر الحملة. فاني سرت برجالي في اليوم التالي وعدتهم ٥٣ رجلاً ٢٠ منهم مسخرون بالبنادق ومع كل منهم ٤٠ خرطوشاً . وفي عصر ذلك النهار هاجت عيد خشارم النحل بلا انذار سابق فنفرت مواشينا وبقالنا الى الغابات مذعورة . وكانت الحمير تحمل الاحمال فسقطت تحتهِ . ولسعت النحل معظم رجالنا وجُنَّ جاويش الحملة وهو وطئٌ من فرط ما نالهُ من اللسع في رأسهِ

وقضينا المساء في نزع الحمات من رؤوس المنسوعين ووجوههم وفرك مواضعها بروح النشادر. وفي الصباح التالي دخلنا بلاد النيام نيام وسرنا حتى بلغنا قرية شيخ اسمهُ سنجو فنزلنا قرب بيتهِ فكنا نرى الاهالي يفرون منا اينما سرنا وحيثما حللنا . وخرجت انا والترجمان محاولاً ان اجد من يبلغ الشيخ رسالة مني فعدت بخفي حنين . ولكن في اليوم التالي جاءتنا امرأة فاعطيتها بعض الملابس وارسلتها الى الشيخ لتقول لهُ اننا قادمون لزيارة السلطان زيارة حب ووداد فليأتِ بقومهِ الينا ولا يخشَ باساً . واتفق في ذلك الليل ان جنديين من جنودنا ابعدا عن المعسكر فاسرهما الاهالي ونزعوا عنهما ملابسهما وسلبوهما بندقيتيهما وسائر ما كان معهما ووضعوا نيرين في عنقيهما وربطوا ايديهما الى الوراء وساقوهما مكتوفين

وجاءني في صباح اليوم التالي رجل طاعن في السن واخبرني انهُ يسمح لي باخذ ما اريد من الزاد والمؤونة من القرية وانهُ يجب ان ابقى فيها الى ان يأتيني اذن السلطان بالسفر منها

فشكرتهُ على السماح لي باخذ الزاد من القرية وقلت اني ادفع ثمن كل ما آخذهُ وطلبت منهُ ان يخبر الشيخ اني قادم بهمة حية . وانهُ اذا لم يعد الرجلان اللذان أسرا سليمين تلك الليلة فاني ازحف على زعيم المقاطعة في الصباح التالي . واوصيت رجالي ان لا يأخذوا شيئاً من اكواخ الاهالي لئلا يظنوا اننا جئنا لسلبهم. وفي تلك الليلة عاد الينا احد الرجلين عارياً واخبرنا ان جماعة من الاهالي اسروهُ هو ورفيقهُ واخذوهما الى قرية شيخ المشايخ وهي تبعد ١٢ ميلاً . ثم شدوا وثاقهما والقوهما عاريين على الارض خارج الاكواخ وكان بعض الرجال يخترونهما ويضحكون استهزاء بهما كلما رأوهما يتململان من لذع البعوض. وكان الشيخ قد امر الحرس بان يقتلوهما اذا سمعوا صوت اطلاق النار من جهة معسكرنا . واخيراً تمكن هو من حلّ وثاقهِ والفرار من غير ان يدري احدٌ بهِ

وسرت في اليوم التالي نحو قرية شيخ المشايخ فلقيني في الطريق نحو مئتي رجل من الاهالي وهم يرغون ويزبدون ويتوعدوني باصلاء نار العداء ان لم اقف في مكاني. ودارت المفاوضات

بيننا ثلاث ساعات فاقنعتهم اني صديق لهم وان يأخذوني الى قرية شيخهم فلما احسّ الشيخ بقدومي ولّى هاربًا فانقذت الاسير الآخر . وكانوا قد ارسلوا البندقيتين والخرطوش الى منجي ابن السلطان يمبيو . ثم اخبرني ابن الشيخ بعدئذٍ ان اباهُ لم يعلم باسر رجليّ وان الذين قبضوا عليهما جماعة من اللصوص

فالقيت عصا الترحال في القرية وانتظرت وصول رسول من عند منجي . وبعد يومين وصل ثلاثة من الرسل ليأخذوني الى قريتهِ . فسرنا جنوبًا في غابات كثيفة ورسل منجي يتقدموننا ادلاءً لنا

وكنا ذات يوم نسير محاذاة خور جفّ ماؤهُ فتخلفت عن رجالي وصدت غزالاً . ولم أكد افعل حتى هجم عليّ نحو مئتي رجل من اولئك المتوحشين وهم يتميزون حنقًا ظنًّا منهم اني اطلقت النار على احدهم . فافهمتهم قصدي من اطلاق النار فلم يقتنعوا حتى رأوا الغزال ميتًا فاقبلوا عليهِ ينهشونهُ نيئًا ويشربون ما بقي من الدم في جثتهِ . وهم مسلحون بالاقواس والسهام وكلٌّ منهم يحمل سكينًا في يدهِ ويطوون شعورهم ويعقصونها بدبابيس مصنوعة من قِصاص[1] الآدميين

وقد ظهر لي انهم يتبعونني عن كثب لمراقبتي وفي تلك الليلة فقد رجلان من رجالي . وما زلنا نسير وسط غابة كثيفة حتى انتهينا الى بركة ماء كبيرة فوقفنا عندها نستقي ونملأ قربنا ولم يمضِ علينا عشر دقائق حتى رأينا جمعًا من الاهالي مقبلاً علينا من الوراء وهو يبلغ نحو ٣٠٠ رجل . وكانوا يتتبعون اثرنا والظاهر انهم دُهشوا لوقوفنا هناك . ولاح لي ان رسل منجي كانوا يودون ان نداوم السير ولا نقف للاستقاء من ذلك المكان

فسألت قائد العصابة ماذا يريد من تتبع اثرنا . فأجاب انهُ يحقر بعض النساء الى قرية منجي . وقد كذب في ذلك فامرتهُ ان يتقدمني في السير فاضطرب لذلك اشد اضطراب

واخيرًا بلغنا قرية منجي فرأيناها تصفر من السكان لانهم هجروها واخبرني رجال منجي الذين معي ان مولاهم مقعد يحمل من مكان الى مكان فلذلك لم يشأ ان اراهُ على تلك الحال وانهُ سيُرسَل اليّ طعام ودليل

فأمرت رسولين من رسل منجي ان يعودا اليهِ ويطلبا منهُ ارسال البندقيتين والخرطوش وسائر ما اخذ من رجالي وان يسألا عن سبب هجومهم علينا . وابقيت الرسول الآخر معي ودرت حول القرية فرأيت آثارًا فظيعة تثبت ما يعزى الى النيام نيام من أكل

(١) جمع قصّ وهو عظمة الصدر

لحم الآدميين . وسألت الرسول الذي معي فقال ان قومهُ لا يأكلون . وري صغار الاولاد الذين يأسرونهم في غزو القبائل الاخرى . وكانت المناظر التي رأيتها مما يشيب لها راس الصبي فما صدَّقت ان عدت الى معسكري

وفي المساء جاءني ابن منجي بخمسين من اتباعهِ وهم مدججون بالسلاح فأمرت رجالي ان لا يسمحوا لاحد منهم بدخول الزريبة ما لم ينزع سلاحهُ عنهُ ويتركهُ خارجها فأبوا ذلك في بادىء الامر ثم عادوا فسلموا بهِ . واخبرني ابن منجي ان اباهُ يريد اخذ ما معي من المواشي ومتى اخذها يردُّ ما سلبهُ رجالهُ منَّا . فعلمت ان كلامهُ هذا بمثابة تهديد ووعيد لنا وعليهِ امرت جاويشي بالعربية ان يجمع رجالهُ ويأمرهم بان يتقلدوا سلاحهم ويكتنفوا ضيوفنا بحيث لا يشعرون ففعلوا ذلك بسرعة وعندئذٍ قلت للرئيس انهُ يبقى هو ورجالهُ رهائن عندي حتى تعاد اسلابنا وان يبعث باحدهم الى منجي يخبرهُ انهُ اذا لم يرسل الاسلاب ذلك اليوم عدت من حيث اتيت ورجالهُ اسرى معي

فأرسل رسولاً يبلغ منجي ما جرى ولم تمضِ ساعة حتى أُعيدت البندقيتان اليَّ وحينئذٍ أخبرت ابن منجي انهُ مطلق السراح هو وجماعتهُ وعادت المياه الى مجاريها بيننا ولما ودعني كان يضحك ويمزح مندهشاً مما ابداهُ رجالي من الخفة والسكينة في اكتنافهم لهُ

ومن تلك الساعة اخذ القوم يضايقوننا ويقلقوننا . فاني رأيت في منتصف الليل انوارًا في الغابة تتحرك وسمعت لغطًا كثيرًا فعلمت ان هناك جماعة من النيام نيام تريد ازعاجنا طول الليل . وجعلوا يصرخون ويقولون اننا الآن في بلاد منجي وسنبقى حيث نحن وان مولاهم لا يأذن لنا في التقدم ولا التأخر وانهُ سيرسل في اليوم التالي من يأخذ المواشي منَّا . فضاعفت الحرس ولما اصبح الصباح لم يبقَ لتلك الجماعة اثر

فاستعرضت بعض الحمالين واعطيتهم البنادق التي كانت معي هدية للسلطان بيبو ومرنتهم على الرماية لاني رأيت ان الحال ستضطرني الى استخدام جميع الرجال الذين معي . وبقيت في ذلك المكان اربعة ايام ولكني لم أرَ احدًا من النيام نيام واخشى بعض رجالي ولا شك ان اولئك المتوحشين خطفوهم واكلوهم . وكنت احذرهم دائمًا من الابتعاد عن الزريبة علمًا مني ان اولئك الاشرار كانوا يراقبون حركاتنا وسكناتنا ويحاولون خطف كلِّ من يستطيعون خطفهُ منا ولكن الحمالين لم يكفوا عن الشوغل في الغابة لاشتيار العسل

ولما كان غرضي الاهم الوصول الى السلطان بيبو عزمت على المسير غربًا لا في رايت من الخرائط التي كانت معي ان ذلك يوصلني الى بلادهِ فعدت على اعقابي ثلاثة اميال ثم توجهت

غربًا فبلغنا نهر سواي بعد مسيرة ١٨ ميلاً فعبرناهُ ودخلنا املاك يمبيو . فتلبثنا للغداء وانزلنا الاحمال عن ظهور حميرنا . وما كدنا نبدأ الاكل حتى سمعت صياحًا شديدًا من ضفة النهر الشرقية فالتفت واذا جماعة من النيام نيام عددهم نحو ٣٠٠ رجل جدوا السير في اثرنا وهم شاكو السلاح ولكنهم لم يعبروا النهر بل طلبوا مني ان اعود الى بلادي والاَّ هجموا عليَّ

فعلمت اني اذا عدت على اعقابي نصبوا لي كمينًا اخذوني بهِ فعزمت ان اسير حذاء النهر حتى ابلغ بقعة مكشوفة انزل فيها انا ورجالي لان الاماكن القريبة من الغابات والادغال تلائم اولئك المتوحشين في هجومهم علينا . فاوقفت الجنود الذين معي حذاء النهر منعًا للاعداء من عبورهِ وتحملت بعد الظهر بنحو ساعتين فعبر النيام النهر حالاً بعد مسيرنا وتبعونا حتى وقفوا من علي يسارنا ومن ورائنا فغيرت مكان جنودي ولم اكد افعل حتى هجموا علينا وهم يصرخون صراخًا يشق عنان الفضاء فامرت جنودي ان يصوّبوا بنادقهم اليهم ولا يسرفوا في طلاق النار فلما رأوا ذلك منا ولوا الادبار ولسوء حظنا خطفوا دليلنا وسط ما حدث من الاختلاط والارتباك

فاستطردنا المسير حذاء النهر وعبرنا خورًا ليس فيهِ ماء فحاول النيام نيام مهاجمتنا مرة اخرى ولكننا هزمناهم ثانية ففروا يحملون قتلاهم وجرحاهم . وفي اثناء هجومهم جاءوا بدليلي المسكين وجروهُ على الارض وهم يصيحون استهجالاً لنظري ثم طعنوهُ بحرابهم حتى مات فقطعوهُ ارباً . فصعد الدم الى رأسي لما رايت ما فعلوهُ وصربت بندقيتي الى زعيمهم واطلقت عليهِ رصاصة نفذت في صدرهِ بينما كان يطفر فرحًا فوق جثة دليلي

وهاجمونا ثالثة فاخفقوا اخفاقهم في المرتين الاولى والثانية فتركونا . فنزلت برجالي بقعة هناك ووضعنا الصناديق التي معنا في دائرة حولنا . وكنت قد فقدت بضعة من رجالي وقسمًا كبيرًا من ذخيرتنا . ولما اكملنا استعدادنا اذا بالمتوحشين قد عادوا الينا وكان عددهم هذه المرة نحو ٧٠٠ ولكنهم خافوا ان يقتربوا منا

ولما خيم الظلام تقهقروا حتى صاروا على نحو نصف كيلو متر عنَّا فجلسوا يضرمون النيران ويضربون على طبولهم والنجدات تأتيهم زرافات من كل جهة . فلم تحن الساعة العاشرة مساء حتى احدقوا بنا من كل جانب وبعد البحث وجدت ان كل ما بقي معنا من الخرطوش ٣٠ خرطوشة فقط وكان عدد الرجال الذين خرجوا معنا في هذه الرحلة المشومة ٥٤ فباتوا الآن ٢٣

فكدت أيأس من النجاة ولكنني عزمت على المقاومة الى النهاية فاخذت ترجماني معي

وخرجنا لتعيين مركزنا واستطلاع ما حواليهِ ديباً خشية ان يراني احد. وما زلنا ننتقل من مكان الى مكان حتى اهتدينا الى الموضع الذي اضرم الزعماء للنار فيهِ وعقدوا مجلساً للمشاورة في امرنا برئاسة حفيد السلطان بيبيو. فاضطجعنا حيث نرى ما يجري ونسمع ما يقال ولا نُرى. فقرَّ رأيهم ان يطبقوا علينا من كل جانب صبيحة اليوم التالي ويقتلونا جميعاً الآي ومخدماً مصرياً كبير السنّ اسمهُ يخيت. اما يخيت فانهم يشدون وثاقهُ ويضعون قدميهِ في النار وقد اطالوا في لومهِ وتعنيفهِ لانهُ جاء بي الى بلادهم التي لم تطأها قدم رجل ابيض من قبلُ واما انا فانهم يستحيونني للتفرُّج عليَّ بعد ان يشوّهوني قليلاً. ولما انتهينا من سماع ما قيل في ذلك المجلس عدنا من حيث اتينا ونحن ندبُّ الهوينا بين الاعشاب الطويلة. وجعلت افكر في ما عسى ان افعل للخلاص من تلك الورطة. فلم أرَ من الصواب ان نفتح لنا طريقاً وسطهم بروسوس الحراب لاسيما بعد ان كثرت جموعهم حتى بلغوا اربعة الآف مقاتل على القليل واوشكت ذخيرتنا ان تنفد. فتركت الترجمان وحدهُ ودرت حول معسكرنا واذا ادبُّ على يديَّ ورجليَّ لعلي اجد موضعاً نستطيع منهُ خرق النطاق الذي ضربوهُ حولنا ليلاً. فوجدت موضعاً قرب النهر يمكننا النجاة منهُ

فعدت الى المعسكر وكان الوقت نحو نصف الليل فامرت عدة من رجالي ان يتلفوا كل ما معنا ثم مشينا نحو النهر وكان الظلام حالكاً فارسلت الرجال اثنين اثنين وقلت للاثنين الاولين منهم اذا فرغا بالنجاة فانتظرانا على بعد عشر دقائق من النهر. فذهب الاثنان الاولان ولبثنا نحن في مكاننا ننتظر ما يكون من امرهما. وبينما كانا يخوضان الماء سباحة خُيِّل لي ان اورطة بكاملها تعبر النهر من شدة الصوت وكنت اتوقع من دقيقة الى اخرى ان يشعر المتوحشون بنا فترتعد فرائصي ولكن رجالي عبروا زوجين زوجين ولم اسمع صوتاً من جانب الاعداء فدلني ذلك على انهم كانوا مستغرقين في النوم. وعبرت انا في الآخر بعد ان تركت نارنا مضطرمة وصناديقنا في اماكنها لتضليل اعدائنا

على اننا لم نبعد كثيراً حتى رأيت انهم دروا بفرارنا ولكنهم لم يجسروا على الدنو منَّا لان الوقائع الماضية علمتهم ما في ذلك من الخطر عليهم. فسرنا نخوض المستنقعات الغامرة ونجتاز الغابات والحراج الكثيفة ولنيف من المتوحشين يسير في آثارنا ويتحين الفرص للفتك بنا. وفرغ طعامنا فبقينا بعدهُ ثلاثة ايام لم نذق طعاماً ولا شراباً. واول ما اكلناهُ جُرَذان كبيران طول الواحد منهما نحو ٣ اقدام

وقبل خروجنا من بلاد البيام نيام اتينا قرية من قراهم فجأة فحملنا عليها بروسوس الحراب

واحرقناها اخذاً ببعض الثار منهم لما لقينا من غدرهم وخيانتهم وما زلنا نواصل السير بالسرى حتى بلغنا رمبك اول محطة لنا وسعي ١٧ رجلاً وفي البقية الباقية من الاربعة والخمسين

البنات والعلوم العالية

كتب احد الاطباء الاميركيين مقالة تحت هذا العنوان اخترنا تلخيصها لا لأن تعليم البنات العلوم العالية لهُ شأن عظيم عندنا الآن فينطبق كلُّ ما جاء في هذه المقالة على بناتنا بل لانهُ اذا سار تعليم البنات في الشرق سيراً طبيعياً وارتقى ارتقاءهُ في الغرب فلا بدَّ ان ننتهي الى مثل هذه العقدة ونتساءل فيما بيننا مثلما يتساءل الغربيون من جهة تعليم البنات العلوم العالية وحينئذٍ تكون هذه المقالة وما ينسج على منوالها مرشداً لنا في حلِّ ما ابهم علينا من المعضلات وما التبس من المشكلات قال الكاتب

بلغ التعليم في قارة اميركا وخصوصاً الولايات المتحدة مبلغاً من الكمال ما بعدهُ غاية . ويظهر لاول وهلة ان هذه الحالة لما نغتبط عليهِ . والناظرون الى الامور نظراً سطحياً يتمنون لو نطَّرد السير على هذه الخطة ونرقى الى ما هو اعلى في امر تعليم البنات قائلين زيادة في الخير خير وان ابلاغ البنات اسمى مراقي التعليم ليس كثيراً عليهنَّ ولا هو فوق طوقهنَّ . ولكن الذين لا يقتصر نظرهم على الحاضر بل يمتدُّ الى المستقبل ايضاً يرون بعين بصيرتهم خطراً ينشأ رويداً ويزيد حتى يفضي الى ثورة اخذت طلائعها تبدو في كلِّ جهة . وسأقصر كلامي على البحث في الضرر الناشيء عن تعليم البنات العلوم العالية

يعلم كثيرون من الراسخين في العلم ان بين انواع الخلائق الحية تنازعاً على بقاء الفرد وخصوصاً بقاء نسلهِ وهذا اهمُّ من بقاء الفرد نفسهِ لانهُ اذا زال الفرد من الوجود زال بزوالهِ شخص واحد فقط ولكن اذا زال نسلهُ زال بزوالهِ الوف لا تحصى من الاحياء التي منعت من الظهور . وتدل الادلة على ان تعليم المرأة العلوم العليا يأول الى انقراض النوع الانساني اما مباشرة وذلك بما يؤثرهُ في بنيتها واما بواسطة وذلك بأن يجعل الزواج الباكر متعذراً على الرجال عموماً

واول سؤال اسألهُ هنا هل العلوم العالية التي تعلَّمها المرأة الآن مما يضر ببنيتها وصحتها . وهو سؤال لا تخفى اهميتهُ على احد لان واجبات الام لا تستلزم عقلاً ثاقباً بل بنية قوية .